قضايا وآراء

أخبار الخليج

العدد (17698) - السنة الحادية والخمسون - الأحد 24 ربيع الأول 1448هـ - 6 سبتمبر 2026م

لماذا لم تعد إسرائيل تشكل خطا أحمر في أمريكا؟

بقلم:
نضال منصور ○

هل بدأت انتفاضة جديدة ضد إسرائيل انطلقت شرارتها هذه المرّة من أمريكا؟ هذا سؤال قد يجده بعضهم رغبويًّا، ولا علاقة له بالواقع، وأن التحوّلات مهما بلغت لن تقصم عرى التحالف الاستراتيجي بين واشنطن وتل أبيب.

لكن تؤشّر القراءات واستطلاعات الرأي الأمريكية إلى تحوّلات جوهرية في النظرة إلى إسرائيل في كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، وإن اختلفت المرتكزات والحدود. والاستنتاج الأبرز أن صورة إسرائيل التي كانت لدى المجتمع الأمريكي لم تعد كما هي على الأقل، وأن الجيل الأمريكي الجديد بات يحمل نظرة سلبية تجاه الكيان الصهيوني، وأصبح أكثر تعاطفاً مع عدالة الحق الفلسطيني.

عند تفكيك المشهد على ضوء معطيات الواقع، يبدو أن صورة إسرائيل كدولة ديمقراطية تتآكل بين جدران الحزب الديمقراطي، والأكثر إثارة أن اليمين الشعبوي داخل بنية الحزب الجمهوري أصبحت لديه أسباب جوهرية لمعارضة إسرائيل، وكلا الاتجاهين يتفقان على سؤال مفصلي: لماذا تنفق الولايات المتحدة أموالاً، وتخوض حروباً بالوكالة عن إسرائيل، بينما يعاني الأمريكيون من مشكلات في الصحة والتعليم والمسكن وتكاليف المعيشة؟

حين فاز زهران ممداني عمدة لنيويورك، قيل إنها طفرة عابرة وليست إرهاصات لتحوّلات سياسية تدعم الحق الفلسطيني، وتعيد النظر في الدعم الأعمى لدولة الاحتلال، ولكن صعود اليسار الديمقراطي توالى هنا وهناك، وكانت المعركة الفاصلة الانتصار الذي حققه الدكتور عبد الرحمن السيد (عبدول) في ميشيجان، بعد أن هزم هالي ستيفنز في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي لمجلس الشيوخ، رغم الدعم الذي حظيت به من مؤسّسات وشخصيات مؤيدة لإسرائيل.

لم تتوقّف الصدمات داخل الحزب الديمقراطي عند انتصار عبدول، بل تكرّر السيناريو، ما يؤكّد أن جدران الحزب تصدّعت، وعمليات الترميم لم تعد ذات جدوى، والأدلة ساطعة كأشعة الشمس ولا تخفى بغربال، ففي مينيسوتا كانت العلامة الفارقة عندما فازت بيغي فلاناغان بترشيح الحزب الديمقراطي لمجلس الشيوخ، متقدّمة بفارق كبير على منافستها المدعومة من التيار المؤيد لإسرائيل، بينما فاز المرشّح التقدمي مات ليتل بمقعد مجلس النواب الذي كانت تشغله المنافسة نفسها. ويستمر تكسير القواعد السائدة، فقد حققت أنجي نيكسون، وهي من التيار الاشتراكي الديمقراطي، مفاجأة مدوّية بفوزها بترشيح الحزب لمجلس الشيوخ على حساب ألكسندر فيندمان، رغم الفارق الهائل في التمويل بين المرشحين.

ثم جاء التطور الأكثر دلالة من كاليفورنيا، حين فازت أيشا وهاب، وهي من الأصوات الديمقراطية المنتقدة بشدة إسرائيل، بمقعد في مجلس النواب، رغم إنفاق ملايين الدولارات من جماعات «أيباك» لدعم منافستها. وقد حصلت وهّاب على 53.1% من الأصوات مقابل 46.9% لمنافستها، لتصبح أول أفغانية أمريكية تدخل الكونغرس.

وهكذا تتكرّر أمامنا صورة بدأت في ميشيجان: مرشّحون تقدّميون ينتصرون رغم الفارق الهائل في الإنفاق، ويحوّلون انتقاد النفوذ السياسي للوبي المؤيد لإسرائيل من عبء انتخابي إلى عنصر تعبئة داخل قطاعات متزايدة في القاعدة الديمقراطية. والملاحظة اللافتة للنظر أيضاً أن تأثير هذا التحول بدأ يتجاوز الحزب الديمقراطي نفسه؛ ففي ميشيجان، طلب المرشّح الجمهوري لمجلس الشيوخ مايك روجرز من «أيباك» تجنّب الظهور العلني في دعمه، خشية أن يتحوّل الارتباط بالمنظمة إلى عبء انتخابي. فإذا صح هذا الاتجاه، فإن السؤال لم يعد فقط: هل يتراجع النفوذ السياسي للوبي المؤيد لإسرائيل داخل الحزب الديمقراطي؟ بل: هل بدأ الارتباط العلني به يتحوّل تدريجياً إلى مخاطرة انتخابية، وهذا هو الأهم.

عودة إلى عبدول، الظاهرة، فهو لم يخفِ مواقفه، منذ اللحظة الأولى يطالب بإنهاء الدعم غير المشروط لإسرائيل، وإعطاء الأولوية للرعاية الصحية والعدالة الاجتماعية. والحقيقة أن ما يراه عبدول تعكسه استطلاعات الرأي بشكل جلي؛ 58% من الديمقراطيين يقولون إن أمريكا تقدم دعماً أكبر من اللازم لإسرائيل، و62% من الجمهور نفسه يعتقدون أن أمريكا لا تقدم دعماً كافياً للفلسطينيين، والأكثر دلالة أن نصف أعضاء الحزب الديمقراطي يؤكدون دون لبس أن إسرائيل ارتكبت جريمة إبادة جماعية في غزّة. وفي المجمل، أصبح لدى 60% من الجمهور الأمريكي، من مختلف الاتجاهات والأحزاب، نظرة سلبية إلى إسرائيل، وفي أوساط جيل الشباب الأمريكي، فإن 58% يحملون نظرة إيجابية إلى الفلسطينيين، بينما تراجعت النظرة الإيجابية إلى إسرائيل، ولا تتعدّى 32%.

لم يهزّ تسونامي التغيير في الولايات المتحدة أركان القواعد اليمينية داخل الحزب الديمقراطي، وإنما تجاوزها ليفجر أسئلة مهمّة في صلب بنية معاقل الحزب الجمهوري، وخصوصاً بين أنصار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب. وهنا تبدو المعارك بين ترامب وتاكر كارلسون مؤشراً يمكن القياس والبناء عليه، وكلمة السر لهذه المعركة أصبحت »أمريكا أولاً«؛ ماذا تعني، وما دلالاتها عند كل فريق؟

السؤال الإشكالي الذي يناقش بين قيادات الحزب الجمهوري: هل »أمريكا أولاً« تعني دعم إسرائيل وحماية مصالحها، أم تعني عدم خوض حروب خارجية إلا إذا كانت هناك مصلحة أمريكية مباشرة؟ اشتعل هذا النقاش أكثر وأكثر بعد الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران، وسيادة قناعة في أوساط القرار الأمريكي بأن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ورّط ترامب في هذه الحرب، كما جرّه إلى مواقف مخزية خلال حرب الإبادة على غزّة. وتاكر كارلسون ليس صوتاً وحيداً بين التيار اليميني الشعبوي داخل الحزب الجمهوري، وباتت هناك رموز معروفة تعارض ترامب، وتضيّق الخناق عليه، وصارت حركة »ماجا« منقسمة، وليست صفاً واحداً يقف خلف الرئيس.

وبالرغم من أهمية هذه التحوّلات في الشارع الأمريكي وتأثيراتها في المدى البعيد، فذلك لا يعني قطيعة مع تل أبيب، أو الانقلاب عليها، بل الذهاب تدريجيّاً وبشكل متزايد إلى إعادة تعريف العلاقة الأمريكية الإسرائيلية: أين تبدأ، وأين يجب أن تنتهي؟ وربما نظرة أكثر إنصافاً للقضية الفلسطينية، وتحرّراً أكثر من سيطرة «أيباك» والنفوذ الإسرائيلي في الإدارة الأمريكية والبيت الأبيض.

ربما أصبح الصراع في الحزب الديمقراطي أعمق؛ فقضية غزّة والموقف من إسرائيل باتا جزءاً أساسياً من الصراع على هوية الحزب الديمقراطي. ولهذا يحاول ممداني ومن يؤيده أن يمدّوا بساطهم، ويعزّزوا نفوذهم بمساندة مرشّحين تقدّميين في كل المعارك الانتخابية، وهذا ربما يكون معركة تمهيدية للموقف من السباق الرئاسي القادم.

الانتخابات النصفية القادمة ميزان مهم لما هو قادم، واستطلاع رويترز-إبسوس يفيد بأن الديمقراطيين يتقدّمون على الجمهوريين 42% مقابل 37%، ويميل المستقلون إلى جانب الديمقراطيين بفارق 12 نقطة، والسيناريو الأكثر ترجيحاً عند المراقبين استعادة الديمقراطيين السيطرة على مجلس النواب، وربما لن يتمكنوا من الظفر بمجلس الشيوخ، لكنهم سيقيّدون حركة الرئيس ترامب، ويكبحون جماحه.

ما يحدث في أمريكا الآن له تداعيات ليست إيجابية على إسرائيل، وسيناريوهات المستقبل تقول إن الدعم لإسرائيل سيصبح مشروطاً بمعايير سياسية وحقوقية، وستصبح المساعدات لإسرائيل موضوعاً انتخابياً، وليست فقط محصورة في السياسة الخارجية. والفجوة بين الأجيال تتعمّق، فالشباب كسروا الصورة النمطية السائدة، وباتوا أكثر فهماً لقضية فلسطين، وأكثر مساندة ودعماً لها.

والخلاصة أن زمن الإجماع الحزبي على إسرائيل انتهى، ولم يعد نقد إسرائيل خطاً أحمر، أو «تابو» لا يمكن الاقتراب منه، كما لم يعد حكراً على اليسار والتقدميين في واشنطن، بل أصبح ظاهرة عامة؛ فالأمريكيون من اليسار إلى اليمين يريدون فصلاً بين مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل. الأكثر تفاؤلاً في المستقبل يسأل: بعد 20 عاماً، حين يصبح الشباب المتعاطف مع فلسطين والمؤيد لها في سدة الحكم، وهم من يملكون زمام السلطة في البيت الأبيض ومجلسي النواب والشيوخ، ماذا سيحدُث؟

○ كاتب صحفي من الأردن

سياسات الغرب مشكلةٌ للعالم كله!

بقلم:
د. رضوان السيد ○

متى تبدأ التساؤلات المتعلقة بالذهنيات والأفكار؟ قبل متغيرات الواقع أم بعدها أم أنها تقترن؟ إذا التفتنا لتطبيق ذلك على حالات غربية بالذات نجد أن المفكر شبنجلر الذي نشر كتابه: «انهيار الغرب» عام (1913) بعد أن عمل عليه سنوات عدة، أنكره عليه زملاؤه ملاحظين السلام الطويل الذي ساد أوروبا والتقدم بعد حروب توحيد ألمانيا، بيد أن المخاوف والتوجسات الشبنجلرية مع أنها ذات طابع حضاري ما لبثت أن تحققت بنشوب الحرب العالمية الأولى.

والحالة الثانية التي يمكن ذكرها في هذا السياق، ثورات طلاب أوروبا وفي الطليعة شباب الجامعات الألمانية والفرنسية في عام 1968. كانت الرأسمالية في أزهى فتراتها وبخاصة في ألمانيا، لكنّ ذلك لم يَحُلْ دون استشعار الشبابً المتمركسين بالقلق وعدم التوازن. ومضت الموجة الأوروبية الساخطة باتجاه جامعات الولايات المتحدة، وهؤلاء كانت في بلادهم مشكلات حقيقية ظاهرة للعيان؛ تطبيق قوانين المساواة المدنية بعد ثوران السود، والحرب الأمريكية الشرسة على فيتنام للحيلولة دون سيطرة شيوعيي الشمال على سايجون.

إنّ ما أُريد الحديث عنه عن التشاؤم الأوروبي والأمريكي، هو بشأن الانحطاط وليس بشأن الانهيار، وهو يأتي من الجهة المقابلة، أي من الآسيويين والأفارقة، ومن المفارقات أن هؤلاء الثائرين على الغرب معظمهم من الأساتذة بالجامعات الأمريكية والبريطانية ومن أصول هندية ومن أمريكا اللاتينية والعرب، ويُعتبرون من الناجحين في جنة الغرب التي يتمردون عليها!.

وبالطبع، أول ما يخطر بالبال إدوارد سعيد في كتابه «الاستشراق» (1977) الذي نعى على هذا التخصص دوغمائياته وانحيازاته ودأبه على صناعة صورة مزيفة عن الإسلام والعرب، تتلاءم مع طموحات الغرب ومسبقاته الكولونيالية.

حصل كتاب سعيد على ترحيب هائل من سائر الجهات ومن الجامعات في أمريكا وأوروبا. وجاءت التوجهات النقدية من جهتين؛ جهة أنصار الاستشراق مثل برنارد لويس، ومن جهة الكبار في التخصصات الأخرى مثل الفلسفة والأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع.

برنارد لويس أنكر أن يكون المستشرقون في معظمهم متعصبين على العرب والإسلام، وذكر كم نشروا من النصوص والبحوث وطوّروا من مشاريع الفهم. أما أهل الاتجاه الآخر، فقالوا إن الاستشراق اهتمام فرعي وهامشي وليس أصلاً أصيلاً في العلوم الإنسانية الغربية. ولم يأبه سعيد بحملة برنارد لويس؛ لكنه تحت وطأة الحملة الثانية سارع لنشر كتابه بعنوان: «الثقافة والإمبريالية»، حيث ذهب إلى أن كل العلوم الإنسانية ذات صبغة استعمارية بشكل من الأشكال.

أما النقدُ الجذري الآخر للحضارة الغربية والذي صار سائداً في السنوات الأخيرة، فقد قاده الأنثروبولوجي المعروف طلال أسد في الكتاب الذي حرّره عام 1974 بعنوان: «مواجهات كولونيالية». سعيد كان يرى أنّ المستشرقين خانوا تقاليد وقيم التنوير، ولو ظلّوا أُمناءَ لها لما وقعوا في دوغمائيات صناعة الصُوَر الزائفة لخدمة الاستعمار!

أما الأنثروبولوجيون والمؤرخون الذين تابعوا الحملة الجذرية فيما بين السبعينيات وأواخر القرن العشرين مثل غوها وسبيفاك وطلال أسد، فقد اعتبروا المشكلة في تقاليد التنوير وقيمه وفلسفاته التي سادت في التفكر الغربي، لكن ظلت ممارساتها قاصرة على الغرب في زمن الاستعمار وما بعده.

أما في العقود الأخيرة، فقد صارت نفاقاً وخراباً على العالم كله عندما انتهى التكاذب. وهذا منطق التيار الفكري والثقافي والسياسي المعروف بتيار التابع Subaltern: فهل يستطيع التابع أن يتكلم؟ بالطبع لا؛ لأنّ اللغة المسماة «علمية» هي لغةٌ مسيطرٌ فيها وعليها وليس في المصطلحات فقط، بل وفي المفردات أيضاً.

والدليل على ذلك عالم «الاستعارة» الذي اهتمّ به الأُدباء والمفكرون الفرنسيون والأمريكيون والذي يريد السيطرة أيضاً على المتخيَّل بالمعنى الأرسطي، والتأويلات اللسانية الحديثة.

وعندما يحمل هؤلاء حتى على المتخيل الغربي فهُم يقصدون ليس الفلسفة والتاريخ مثلاً، بل ويقصدون أيضاً الفن الروائي والرسم وسائر الفنون ووسائل التواصل واستعبادات الذكاء الاصطناعي كما يسمونها!

هل هي تيارات فكرية خاب أملها في الغرب كما خيب الغرب آمال وتوقعات بعض المفكرين الغربيين، أم أنّ رؤاها السلبية تتأثر بالأحداث؟ تيار التابع في الأصل رؤية وفلسفة مهجوسة باستمرار الاستعمار حتى في العلوم. لكن في أحداث غزة الأخيرة انحاز عشرات منهم عرباً وغير عرب لفلسطين.

إنما المشكلة أننا نحن الذين نحمل على الاحتلال الإسرائيلي بمصطلحات القانون الدولي الإنساني، وميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، نجد أنفسنا مختلفين مع مفكري تيار التابع الذين لا يقبلون هذه الإنشائيات بحجة أن الغرب نفسه الذي اخترعها ما عاد يقول بها، وإلاّ لما حصلت المذبحة!

○ كاتب ومفكر من لبنان

صفحات من أوراق جدي القديمة.. بين الحقيقة والكذب

بقلم:
د. زكريا الخنجي

ذات ليلة جاءني جدي في الحلم وهو يحمل قصاصة ورق تشبه تلك القصاصات الموجودة في صندوقه الحديدي، مد يده وقدم لي القصاصة فتحتُها وجدت أنه مكتوب فيها (حوار عند مفترق الطريق بين الحقيقة والكذب)، فقال لي جدي: لماذا لم تقرأ هذه الورقة وتكتب عنها، إنها حكاية كل يوم. ثم ذهب واختفى وظلت القصاصة في يدي.

عندما استيقظتُ من النوم، ذهبت مباشرة إلى صندوق جدي وأخذت أقلب القصاصات حتى وجدت حكاية الحقيقة والكذب، في قصاصة تشبه إلى حد كبير القصاصة التي وضعها جدي بين يديّ. وجدت أن جدي كتب فيها هذه الحكاية:

في قديم الزمان، على مفترق طريق لا يظهر على أي خارطة، كان يلتقي كل ليلة كائنان غريبان: الحقيقة، وهي ترتدي ملابس بيضاء بسيطة ليست رثة، ولكنها لا تلفت الانتباه كثيرًا. وأما الكذب، فهو رجل أنيق يرتدي ألف ثوب وثوب، كل ثوب أجمل من الذي قبله، ووجهه يتغيّر، ليحاول أن يري كل إنسان ما يريد أن يراه لا ما هو موجود فعلًا. وكانا يلتقيان كل ليلة عند هذا المفترق، لأن الناس الذين يمرّون بهما يختارون أحدهما ليمشي معهم بقية الطريق.

وفي إحدى الليالي، جلس الاثنان على حجرين متقابلين في نفس المفترق، وبدأ بينهما هذا الحوار؛

الكذب: أراك متعبة الليلة أيتها الحقيقة.

الحقيقة: لست متعبة، لكنني حزينة، فقد مررت اليوم بثلاثة أشخاص، فقط شخص واحد اختار أن يمشي معي.

الكذب (يبتسم بثقة): وأنا مرّ بي المئات، واخترت لهم جميعًا. أتعرفين لماذا؟ لأنني أعطيهم ما يريدون، لا ما هو كائن.

الحقيقة: وهل ما يريدونه يُغنيهم عمّا هو كائن؟

الكذب: في الليل، نعم. الحقيقة ثقيلة يا صديقتي، أنتِ تحملين الناس على أكتافها كل شيء كما هو: الأخطاء التي ارتكبوها، الحب الذي فقدوه، المرض الذي يخافونه. أما أنا، فأخفف عنهم الحمل، وأقول لهم: «كل شيء بخير»، «أنت لست المخطئ»، «الأمر سيُحل من تلقاء نفسه».

الحقيقة: وحينما يستيقظون؟

الكذب (يصمت قليلًا، ثم يضحك ضحكة فيها ارتباك): أنا لا أُهتم بالصباح أو الفجر، أنا كائن ليلي، كائن اللحظة، الفجر والضياء شأنكِ أنتِ.

الحقيقة: هذا بالضبط ما يفرّق بيننا. أنا أبني بيوتًا من حجر، وإن كانت بطيئة، وثقيلة، وتحتاج إلى سنوات لترتفع، لكنها تصمد أمام العاصفة. وأنت تبني قصورًا من ضباب، تسرّ العين ليلًا، لكن مع ضياء الشمس الأولى تتبخر.

الكذب: وإن كان الناس يريدون الضباب لا الحجر؟

الحقيقة: هذا لأنهم لم يبنوا بالحجر بعد ليعرفوا الفرق. جرّب أن تسأل من بنى بيتًا من حجر، هل يريد استبداله بقصر ضباب؟ لن يفعل، مهما كان القصر جميلًا.

في تلك اللحظة وأثناء هذا الحوار الأسطوري مرّ عابر سبيل، شاب مثقل بهمّ يحمله منذ أشهر. توقف عند المفترق، نظر إلى الاثنين، وسأل:

الشاب: من منكما يدلّني على الطريق إلى الراحة والسعادة؟

يتقدّم الكذب بسرعة، بابتسامته المعتادة، وقال: أنا، تعال معي، سأريك طريقًا لا تعب فيه، ستنسى همّك بعد بضع خطوات.

لم تتحرك الحقيقة من مكانها، ولكنها قالت بصوت هادئ وعميق: أنا لا أعدك بطريق بلا تعب. لكنني أعدك بطريق ينتهي فعلًا إلى حيث تريد أن تصل، لا إلى حيث يبدو أنك وصلت.

نظر الشاب إلى الاثنين طويلاً. ثم سأل الكذب:

الشاب: وإن مشيت معك، وانتهى الطريق فجأة، ووجدت نفسي ما زلت بعيدًا عن الراحة الحقيقية التي أنشد، فماذا يمكنني أن أفعل؟ وأين ستكون أنت؟

لم يجب الكذب مباشرة، وإنما أشاح بوجهه قليلاً، ثم قال: على الأقل ستكون قد استمتعت بالطريق لوهلة.

سكت الشاب لوهلة منتظرًا أن تتكلم الحقيقة، إلا أنها وقفت صامتة، ولكنها ابتسمت بعد لحظات عندما شعرت أن الشاب على استعداد تام لكي يصغي إليها، فقالت:

الحقيقة: أيها الشاب اسأل نفسك، أي الطريقين تريد أن تسلك؟ الطريق الذي يشعرك فيه أنك وصلت على الرغم من أنك لن تصل من خلاله لشيء، أم طريق الذي تعرف فيه إلى أين تريد أن تصل، وعندما تصل ستعرف أنك وصلت فعلًا؟

ثم سكتت الحقيقة لحظة، وقالت: لك حرية الاختيار، زميلي لن تصل معه إلى مكان، وإنما يوهمك أن قد وصلت، وربما يتخلى عنك في وسط الطريق كعادته، أما أنا الحقيقة فأختلف عنه تمامًا، معي حتمًا ستصل وتسعد وستشعر بالراحة، ولن أتركك أبدًا.

وقف الشاب، ثم اختار أن يمشي مع الحقيقة، ولم يكن الطريق سهلاً؛ إذ إنهما سارا في العتمة، وواجها فيه مخاوفه واحدة تلو الأخرى، لأن الحقيقة لا تُخفي المنعطفات المؤلمة، بل تسير بك خلالها ببطء. لكنه، حين وصل، وصل فعلًا. وحين نظر خلفه، رأى الطريق الذي سلكه بوضوح، ورأى نفسه فيه كما هو، لا كما تمنى أن يكون.

أما الكذب، فبقي عند المفترق، ينتظر عابرًا آخر، يرتدي ثوبًا جديدًا فوق أثوابه القديمة، ويهيّئ ابتسامته من جديد.

تنتهي حكاية جدي عند هذه الفقرة، وإن كانت الحكاية لم تنته بعد؛ ولكن الأدبيات الفلسفية تقول:

إن الحقيقة ليست مجرد ركيزة يبنى عليها المعيار العقلاني للأشياء، بل هي بوصلة ترسم حدود كينونة الإنسان وتحدد موقعه في هذا العالم. إن البحث عن الحقيقة ليس ترفًا ذهنيًا، بل هو حاجة وجودية ملحّة؛ فالإنسان ينقب عنها ليفهم ما حوله، لكنه أثناء رحلة البحث، يصطدم بأبعادها النفسية والفلسفية التي تجعل من الحقيقة مفهومًا مركّبًا، سائلًا، وشديد التعقيد. فالحقيقة ليست مجرد معادلة منطقية أو واقعة مادية، بل هي تجربة يعيشها الإنسان بكل تناقضاته. هي مساحة التفاعل الدائم بين عقل يبحث عن النظام واليقين (الفلسفة)، ونفس تتأرجح بين الرغبة في المعرفة والخوف من المجهول (علم النفس). وفي نهاية المطاف، قد لا تكون الحقيقة شيئًا نصل إليه ونمتلكه، بل هي عملية مراجعة مستمرة ونمط عيش يتطلب شجاعة نفسية وعقلية لمواجهة العالم كما هو، لا كما نتمنى أن يكون.

ويُظهر التحليل النفسي والفلسفي الوجودي أن الحقيقة المطلقة قد تكون مرعبة؛ فهي تضع الإنسان وجهًا لوجه مع حقيقة فنائه، وعزلته الوجودية، وعدمية بعض جوانب الحياة. من هنا، يمارس الإنسان ما أسماه بعض الفلاسفة نوعًا من (سوء النية) أو التغاضي الإرادي؛ فيفضل (الوهم المريح) على (الحقيقة المؤلمة).

أما الكذب فلا يُعد مجرد انحراف أخلاقي أو زيف يستوجب الإدانة، بل هو ظاهرة معقدة تضرب بجذورها عميقًا في بنية الوعي البشري. فالكذب، في جوهره، ليس مجرد ادعاء غير صحيح، بل هو فعل إرادي يتطلب قدرات عقلية ونفسية رفيعة؛ حيث يقوم الفرد بإعادة صياغة الواقع وتشييد عالم موازٍ يختلف عن المعطى الحسي والمادي. إن التأمل في الكذب يكشف عن تداخل فريد بين الفلسفة التي تبحث في ماهيته وأخلاقياته، وعلم النفس الذي يسبر أغواره ويفكك دوافعه.

إن الكذب مرايا تعكس تعقيد الطبيعة البشرية، فهو يعبّر عن هشاشتنا النفسية وحاجتنا للأمان والقبول، وفي الوقت نفسه يسلط الضوء على حرية عقولنا وقدرتها الفريدة على صياغة الواقع أو تحريفه. الكذب يضعنا باستمرار أمام تساؤل جوهري: هل نكذب لنحمي أنفسنا من العالم، أم نكذب لنحمي أنفسنا من ذواتنا؟

ويمكننا أن نسأل في ختام هذا المقال، هذا السؤال: لماذا يفضل البشر الكذب على الحقيقة؟

يمكن أن تكون الإجابة في: إن الرغبة البشرية في اختيار الكذب بدلاً من الحقيقة تكمن في كون الحقيقة غالبًا ما تكون ثقيلة ومكلفة، بينما يقدم الكذب حلولاً سريعة ومريحة على المستويات النفسية، الاجتماعية، والوجودية.

وربما إجابات أخرى، لا نعرف.

zkhunji@hotmail.com

قبل حدوث السيناريو الأسوأ في الضفة الغربية

بقلم:
د. أحمد رفيق عوض ○

التساؤل والقلق لم يعد ترفاً سياسيًّا، ولا مجرد تحذير يضاف إلى قائمة طويلة من التحذيرات التي اعتاد العالم سماعها ثم تجاوزها. فالضفة الغربية تعيش اليوم تحت ضغط متصاعد، تتداخل فيه الحملات السياسية والتحريضية مع التغول الاستيطاني والأمني، بما يجعل احتمالات الذهاب إلى خطوات دراماتيكية أكبر من أي وقت مضى.

هناك حملات تحريض واسعة ضد الضفة الغربية المحتلة. مرة يقال إنها تعج بأوكار الإرهاب، ومرة إنها تعاني فوضى السلاح، ومرة يجري التحذير من احتمال انخراط الشرطة الفلسطينية في أعمال إرهابية، ومرة أخرى يصبح البناء الفلسطيني «غير المسيطر عليه» و«غير القانوني» عنواناً للحملة، ثم تُتهم السلطة الفلسطينية بتمويل الإرهاب والتحريض.

هذه الروايات المتعددة الوجوه تجري في الوقت نفسه الذي تشهد فيه الضفة هجمة استيطانية غير مسبوقة، أكلت الأخضر واليابس، وضيقت على الفلسطينيين في أراضيهم، وهجرت تجمعات، وسيطرت على المراعي والينابيع والأودية ومساحات واسعة من الأرض. نحن أمام مشروع استعماري يتقدم على الأرض بينما ينشغل العالم بتفسير خطاباته وتبريراته.

لكن السؤال الأكثر أهمية يبقى: ماذا تريد إسرائيل من الضفة الغربية؟

ولماذا تريد تحويلها إلى جبهة تبحث فيها عن «نصر بارد» وغنيمة سائغة؟ ولماذا هذا التغول الاستيطاني والأمني والسياسي؟

صحيح أن الانتخابات والحسابات الحزبية الداخلية حاضرة في المشهد، لكنها لا تكفي وحدها لتفسير ما يجري. فالمسألة، في تقديري، أعمق من حكومة أو رئيس حكومة. إنها تعكس عقلية إسرائيلية قديمة ـ جديدة، وإجماعاً تبلور منذ أوائل الألفية الثالثة على أن الدولة الفلسطينية لن تقوم بين النهر والبحر، وأن الاعتراف الكامل بحقوق الشعب الفلسطيني ليس جزءاً من التصور الإسرائيلي للمستقبل.

ولهذا فإن الشهرين المقبلين قد يكونان شديدي الخطورة على واقع الضفة ومستقبلها. فالتحريض الواسع، والاستفزاز المستمر، وعمليات التضييق القاتلة على الإنسان والأرض والتمثيل السياسي، قد تمهد لإجراءات لم تُتخذ من قبل.

ولنا في السيطرة على معهد قلنديا مثال حي. فقد استولت إسرائيل على مؤسسة دولية بصورة استعراضية، من دون أن يتولد موقف إقليمي أو دولي يتناسب مع خطورة الخطوة. ومثل هذا الصمت لا يردع، بل قد يُفهم باعتباره ضوءاً أخضر لاختبار الخطوة التالية.

ويبدو أن مشروع الاستيطان في منطقة E1 كان مقدمة مهمة في هذا السياق. فبناء أكثر من ألف وحدة سكنية بين مستوطنة معاليه أدوميم والقدس الشرقية المحتلة ليس مجرد توسع عمراني؛ إنه خطوة عملية في اتجاه تقطيع أوصال الضفة، وتقويض إمكانية قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة، وتفكيك ما تبقى من الجغرافيا السياسية التي قام عليها حل الدولتين.

وهنا يصبح السؤال أكثر إلحاحاً: ما الذي بقي لإسرائيل أن تفعله لتصفية ما تبقى من اتفاق أوسلو؟ والأخطر: أليست هذه الإجراءات جزءاً من التمهيد لحل نهائي تريده إسرائيل وفق شروطها؟

قد تكون هناك خطوات أخرى، وربما أكثر جذرية، يمكن أن تقدم عليها الحكومة الإسرائيلية الحالية قبل مغادرتها. وهذا تحديداً ما يدق ناقوس الخطر أمام القيادة والجمهور الفلسطيني، كما أمام الولايات المتحدة والمجتمع الدولي والإقليم والقوى الإسرائيلية التي ما زالت تؤمن بإمكانية التسوية.

لا أحد يضمن أن الأسوأ لن يحدث. ولا يمكن مواجهة هذه المخاطر بالانتخابات وحدها، أو بالاعتماد على أن «لا بدائل هناك». فالمشكلة أن إسرائيل، في لحظات كهذه، قد لا تكون منشغلة أصلاً بالبحث عن البدائل، ولا بما سيحدث في اليوم الثاني أو الثالث.

إذا وصلت حالة العمى السياسي إلى حد ضم أجزاء من الضفة، أو فرض أوضاع أمنية وسياسية جديدة تلائم إسرائيل وحدها، فمن يضمن أن يكون هناك من يستطيع منع ذلك؟

لهذا، فإن المطلوب ليس انتظار الكارثة ثم البحث عن تفسير لها. المطلوب أن توضع هذه الاحتمالات الآن، وبصراحة، على طاولة البحث وصنع القرار، وأن يجري التعامل معها باعتبارها خطراً وشيكاً، لا مجرد سيناريو بعيد. فالسياسة الحكيمة لا تنتظر أسوأ الاحتمالات كي تثبت أنها كانت على حق في التحذير منها.

○ مدير مركز المتوسط للدراسات الإقليمية